والنهى عن المنكر ، ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — غضب الله له[١] » .

ولتقصيرنا فى أداء هذا الواجب — ظهر فينا الفساد الذى جنى على كثير من آدابنا الاجتماعية ، وعاداتنا المرضية ، وأخلاقنا الإسلامية ، فمتى نثوب إلى رشدنا ، وننفذ أحكام شريعتنا ؟ ! ! ومتى ينجم فينا رجال أشداء على الباطل والظلم ليحيوا ما اندثر من السنن القويم ، ويجددوا ما رثّ من حبل الدين المتين ؟!! ، اللهم جدّد عزائمنا ، وابعث فينا مشبوب الهمم لإحياء مجد الإسلام ووصاياه وأحكامه ، وهيئ لنا من أمرنا رشدا[٢]

حسن أحمد الخطيب

(١) تفسير أبى السعود والبيضاوى ، وشتّه : أبغضه .

(٢) جاء فى المقال السابق المنشور بالعدد ٦٥٤ من الرسالة ص٤٧ ، ٤٨ بعض الأخطاء المطبعية نصححها فيما يلى :

(أ) وعند الشافعى أقلها وهو دينار — صوابها : وعند الشافعى أقلها محدود وهو دينار .

(ب) على مخالفيه من الذمة والكتاب — صوابها : على مخالفيه من أهل الذمة والكتاب .

توماس هـــوبز

لالفرد فيبر

الأستاذ عبد الكريم الناصرى

كان توماس هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) المولود فى مالمسبرى ، من أعمال ولتشاير ، صديقاً مخلصاً لآل ستيوارت ، وكان ذا حظوة عندهم ، بفضل نفوذ تلميذه اللورد كافندس .

وقد غاب فيلسوفنا عن وطنه ثلاثة عشر عاما ، فلما عاد إليه انقطع للبحث والتأليف[١] .

غطت شهرة هوبز كمؤلف سياسى وأخلاقى — إلى حدما — على شهرته كأنطلوجى ونفسانى ؛ وبغير الحق ، فانه السابق Forerunner إلى المادية ، والنقد ، والوضعية الحديثة .

(٢) جمع مؤلفاته اللاتينية والانجليزية ، ونشرها مولسورث ، Molesworth فى ١٦ مجلدا — لندن (١٨٣٩ — ١٨٤٥) .

يحد هوبز الفلسفة بأنها الاستدلال على المعلولات من العلل ، وعلى العلل من المعلولات[١] .

والتفلسف هو التفكير الصحيح ؛ ولكن التفكير معناه « أن تركب وتحلل التصورات Concepts ، أن تجمع أو تطرح ، أن تحسب وتعد . فالتفكير الصحيح إذن هو تأليف ما يجب أن يؤلف ، وتفريق ما يجب أن يفرق . ويلزم عن هذا أن الفلسفة ليس لها من موضوع سوى الأشياء القابلة للتركيب والتجزئة ، وهى « الأجسام »[٢] . أما الملائكة ، والأشباح والأرواح المحض والله ، فليست بموضوعات للفكر والعلم ، ولا شأن للفلسفة بها ، وإنما هى موضوعات للدين والإيمان ، ومردها إلى اللاهوت . وبحسب انقسام الأجسام إلى أجسام طبيعية وصناعية ، وأجسام أخلاقية وسياسية ، تنقسم الفلسفة إلى : فلسفة طبيعية (المنطق ، والأنطلوجيا ، والرياضيات ، والفيزياء) وفلسفة سياسية (الأخلاق والسياسة) . والفيزياء والفلسفة الأخلاقية كلتاهما علم تجريبى ، موضوعه الأجسام ، وآلته الحس — الحس الظاهر للأول ، والحس الباطن للثانى . وليس وراء علم الملاحظة observation من معرفة حقيقية[٣] .

إن هذه المقدمات تسلم هوبز إلى نظرية فى الإدراك مادية من كل جهة . فالإدراك الباطن ، الذى هو أساس حياتنا الفكرية وشرطها الأول ، ليس إلا شعورنا أو إحساسنا بفعل الدماغ . فأن تفكر think هو أن تحس feel . والمعرفة تتكون من إضافة الأحاسيس . والإحساس ، بعد ، ليس إلا حركة تحصل فى الجسم . ثم إن الذاكرة ، التى تلازم الفكر ، ليست شيئا أكثر من ديمومة الإحساس ؛ فتذكرك الشىء هو إحساسك بما سبق أن أحسست به[٤] . وليس من الممكن أن تعلل الإحساسات ، على طريقة بعض القدماء ، بأنها فيوض صادرة من الأجسام ومشابهة لها . إن أشباح الأجسام هذه ، أو — على حد تعبير المدرسيين — « أنواعها المحسوسة والمعقولة » ، لا تقل

(١) De Corpore, P .2

(٢) Id, P. 6

(٣) De Corpore

(٤) يسمى هوبز الذاكرة بالخيال أو التخيل أيضا (المعرب)

بطلانا عن « الكيفيات المستورة » وأشباهها من فرضيات القرون الوسطى . وإنما الواجب أن نقول : إن الحركة البسيطة التي تثيرها الموضوعات الخارجية في المادة المحيطة بها تنتقل إلى الدماغ بواسطة الأعصاب .

وهوبز يقرر هنا حقيقة خطيرة ، عرفها من قبل ديمقريطس ، وبروتاغوراس وأرستبس ؛ وهي أن الإدراك الحسي ذاتي بالكلية فإن ما ندركه — كالضوء مثلا — ليس بموضوع خارجي ألبتة ، وإنما هو حركة أو تكيف يحدث في المادة المخية . وليس أدل على ذلك من أننا نبصر ضوءاً إذا لُطمت العين ، إذ ليس هذا الإحساس إلا نتيجة التهيج الحاصل في العصب البصري . وما يصدق على الضوء بوجه عام يصدق على تعيناته المختلفة التي هي الألوان . فالحواس إذن تخدعنا حين تلقي في روعنا أن الصوت والضوء والألوان تقوم خارج النفس . إن موضوعية الظواهر وهم خادع ، وليست صفات الأشياء غير أعراض لاحقة بكياننا ، وما من شيء موضوعي سوى الحركة التي تثير فينا هذه الأعراض ، وهي حركة الأجسام الخارجية [1] ... إن فيلسوفنا ليستدل كما استدل بعده « بركلي » ؛ بيد أن الأخير يسير بحجته إلى النـ فإنه بعد أن يبدأ بمقدمات أهل الحس ، ينتهي إلى إنكار و الأجسام ، وإلى القول بالمثالية الذاتية . أما هوبز فيقف في منتـ الطريق ، لأن شيئية reality المادة عنده عقيدة لا تقبل الشك

أما النفس soul أو الروح spirit فإنه يحدها أحيانا بأ فعل الدماغ ، وأحيانا بأنها مادة أو جوهر عصبي ؛ ويقول ذلك : إني أقصد بالروح جسما فيزياويا يلطف عن إدراك الحوا أما الروح « اللاجسمانية » فحديث خرافة . والتوراة نـ لا تذكر موجوداً من هذا القبيل . إن الإنسان لا يختلف oper عن الحيوان إلا بالدرجة ، إذ كلاهما كائن جسماني . وإذا كا من مزية advantage حقيقية على العجماوات ، فتلك هي النط إنا ، كهذه الأحياء الدنيا ، لا خيار لنا فيما نفعل ، وإنما تـ شهوات لا تقاوم ؛ وليس للعقل بغير انفعال ، ولا للمبا الأخلاقية بغير جاذب مادي ، أدنى تأثير في إرادة الإنسان ؛ هي مدفوعة بالخيال وما يتوقعه ، وبالعواطف والانفعالا بالحب والبغض والخوف والرجاء .

نعم : « إن الفعل الإرادي هو الذي يصدر عن الإرادة ولكن الإرادة نفسها ليست « إرادية » — إننا لا سلطان

(١) السطور التالية مترجمة (باختصار) عن الفصل الأول من الباب الأول من كتاب هوبز الموسوم (بالتنين) : —

« كل فكرة من فكرنا فانما هي (تمثل) أو (بدو) لعرض من « أعراض » جسم أو موضوع خارجي فهذا الموضوع يؤثر في حواسنا ، ومن تنوع تأثيره تنشأ أنواع التمثلات . فالاحساس إذن هو أصل جميع فكرنا وتصوراتنا .

« وعلة الاحساس هي الجسم الخارجي ، أو الموضوع ، الذي يؤثر في عضو الحس ، إما بلا واسطة ، كالحال في الذوق واللمس ، وإما بواسطة ، كالحال في البصر والسمع والشم ؛ ثم إن هذا التأثير ، أو الضغط ، ينتقل بواسطة الأعصاب والأوتار والأغشية إلى الدماغ والقلب ، ويحدث فيهما مقاومة ، أو ضغطاً مضاداً ، أو مجهودا ؛ وبما أن هذا المجهود موجه « نحو الخارج » . فانه يبدو كأنه مادة قائمة في الخارج وهذا « البداء » ، أو « التوهم » هو ما يدعوه الناس إحساسا ؛ وهو بالاضافة إلى العين ضوء أو لون ، وبالاضافة إلى الأذن صوت ، وبالاضافة إلى الأنف رائحة ، وبالاضافة إلى اللسان طعم ، وبالاضافة إلى سائر البدن حرارة أو برودة أو صلابة أو ليونة ؛ وسائر الكيفيات التي تسمى شعورا أو إحساسا . وعلى ذلك فليست هذه الكيفيات والأعراض في الموضوع نفسه ، وإنما هي حركات في مادته ، وهو يؤثر بهذه الحركات في آلاتنا (أعضائنا) الحسية ، على أنحاء شتى . بيد أن ما يحدث فينا ، إنما هو في الحقيقة ، جملة حركات =

= إذ ليس تنتج الحركة إلا حركة وإنما تبدو لنا هذه الحركات ضوءاً صوتاً ، من جهة التوهم فقط . وكما أننا نرى ضوءاً إذا فركت العين لطمت ، ونسمع دوياً إذا سدت الأذن ، فكذلك تثير الأجسام الخا فينا أمثال تلك الكيفيات بفعل تأثيرها الشديد ولكن غير الملحوظ . كانت الأصوات والألوان في الموضوعات نفسها ، لما أمكن فصلها الموضوعات ، مع أن هذا ممكن ، كما هو مشاهد في انعكاس الضو الصوت (الصدى) ، إذ يكون الموضوع في موضع ، وظهوره في م آخر . وعلى ذلك فليس الحس ، في جميع الحالات ، إلا توهما أصليا ، حركة الأشياء الخارجية ، وضغطها على عيوننا وآذاننا وآلاتنا ا الأخرى » بيد أن مدارس الفلسفة ، في جميع ديار النصرانية ، بمقالة أخرى ، مصدرها بعض نصوص من أرسطو ، فتقول في علة ا إن الشيء المرئي يرسل إلى كل جانب « نوعا مرئيا » ، وقبول العين ل « الرؤية » وتقول في علة السمع ، إن الشيء المسموع يرسل « مسموعا » ، يدخل الأذن فيحصل السمع بل تقول في علة « الفهم الشيء المفهوم أو المعقول يبعث « نوعا معقولا » ، فاذا ولج العقل حد الفهم لدينا . وهذا كله كلام لا معنى له ولا محصل فيه » . المعرب